﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: 21]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بعد بيان حقارة الدُّنيا وسموّ الآخرة؛ دعاهم إلى المغفرة والنَّعيم السَّرمديّ

لمّا بيَّنَ اللهُ سبحانه ما يدلُّ على حقارة الدُّنيا، وخداع زخارفها الزّائلة، وكشف عن قلَّة نفعها، وسرعة فنائها بقوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾؛ أتْبَعَهُ ببيانِ كمال حال الآخرة، وما فيها من تمام الفائدَةِ ودوام البقاء، فلا ريبَ أنَّ الأبقى والأدوم أكرَمُ وأشرفُ مِن العاجِل المُضْمَحِلِّ، فحرَّك القلوبَ، وحثَّ العزائم إلى ما يوصِل إلى مغفِرَتِه ورِضْوانِه، وما يورِثُ الفَوْزَ بالنَّعيم السَّرمديِّ، فقال جلَّ شأنه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَابِقُوٓاْ﴾: فعل أمر، والجذر اللُّغويُّ منه: (سبق)، ومنه: السَّبق، وهو التَّقدُّم في السَّير، ويُستعمَل للدَّلالة على التَّقدُّم في الجرْي وسائر الأمور، ويدور معناه المحوريُّ على تقدُّم الشَّيء عمّا حولَهُ بقوَّة وجدٍّ، بحيث يَنْفَرِدُ بالمُبادرَةِ، ويَصِل إلى المطلوب قبلَ غيرِه، فيقال: سابَقْتُه، فسَبَقْتُه، ومنه قولُهُم: له سابقَةٌ في هذا الأمرِ، أي: سَبَقَ النّاس إليه، ويقال: أسْبَقَ القومُ إلى الأمر، وتَسابقوا، أي: بادَروا إليه، ففي السَّبقِ معنى المبادرةِ إلى التَّقدُّم[2]،

(1) الزحيلي، التفسير المنير: 27/ 320.

(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والفيومي، المصباح المنير، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سبق).

ومعنى ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ في الآية: سارعوا مسارعةَ المُتَسابقينَ لأقرانِهم في ميدان السِّباق[1] بجدٍّ واجتهادٍ، كلُّ واحدٍ منهم يريد أن يسبِقَ صاحبَهُ.

2) ﴿عَرْضُهَا﴾: العرْضُ: خلاف الطّول، وعَرض النَّهر، بمعنى: ناحيته، والعين والرّاء والضّاد بناءٌ تتشعَّب فروعُه في الاستعمالات اللُّغويَّة، ومع كَثْرَتِها فإنَّها تعود إلى أصلٍ واحد جامع، وهو العَرْض الذي يقابِل الطّول، ولَمّا كان كذلك؛ فالأصل أن يكون متعلِّقًا بالأجسام، لكنَّه قد يخرُجُ إلى غيرِ ذلك[2]، و"المعنى المحوريُّ: اتِّساع ما يواجه النّاظر من الشَّيء الكثيف، كالأشياء المذكورة، وهو ما يُخالف الطّول"[3]، والمقصودُ من ذِكْرِ العَرض في الآيَةِ هوَ التَّرغيب في سَعَتِها، فاقتُصِر على ذِكْرِ العَرْضِ دون الطّول؛ ولأنَّ مِن أساليب العرب وعاداتهم في التَّعبير أن يعبِّروا عن سعةِ الشَّيء بعَرْضِه لا بِطولِه[4].

3) ﴿أُعِدَّتْ﴾: فعلٌ مبنيٌّ للمفعولِ، وجذره اللُّغويُّ: (عدد)، وهو لا يَخْرُجُ عن أصلَيْنِ اثنين، فإمّا أن يكونَ مِنَ العدِّ الذي هو الإحصاءُ والتَّعداد، وإمّا من الإعداد الذي هو تهيئةُ الشَّيء وتجهيزه، وإلى هذين الأصلين تَرْجِعُ جميع فروع معاني هذا الجذر، فكلُّ ما ورد في القرآنِ مِن الفعل (أُعِدَّ) أو (أعَدَّ) مسندًا إلى الفاعل أو المفعول، وكلمة (عُدَّة)، فهو من الإعداد بمعنى الإحضار والتَّهيئة، وجعل الشَّيءِ مُعدًّا ومتيسِّرًا، وما عدا ذلك من مفردات هذا التَّركيب القرآنيِّ؛ فهو راجع إلى معنى العَدِّ الذي هو بيانُ مقدارِ الشَّيء، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ [الهمزة: 2][5]، ومعنى ﴿أُعِدَّتْ﴾ في الآية: أُنْشِئَت، وهُيِّئت إعدادًا كاملًا[6].

4) ﴿فَضْلُ﴾: اسمٌ ثلاثيٌّ مجرَّد، والجذر اللُّغويُّ منه: (فضل)، والفَضْلُ: معروفٌ، والتَّفضُّل: التَّطوُّل على الآخرين، ويأتي الفضلُ مرادًا به نقيضُ النَّقْص، ومنهُ: الفضائِلُ، أي: المحاسن، ومنه: الفضيلة، أي: الدَّرجة الرَّفيعة[7]، و"الفاء والضّاد واللّام أصل

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 479.
(2) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (عرض).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عرض).
(4) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 481.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عدد).
(6) الفيروزابادي، تنوير المقباس، ص: 458.
(7) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة: (فضل).

صحيح يدلُّ على زيادةٍ في شيءٍ، من ذلك الفَضْلُ: الزّيادة والخير، والإفضال الإحسان"[1]، والفضلُ وإن كان بمعنى الزّيادةِ عمومًا إلّا أنَّ استعمالَهُ في المحمودِ أكثرُ وأشيع، ثُمَّ إنَّ الفضل يَرِدُ للأمور الحسّيَّة والمعنويَّة[2]، ومعنى ﴿فَضْلُ﴾ في الآية: هو ما بَسَطَ اللّهُ تَعالى لهم من الرِّزق في الدُّنيا، ووَهَبَ لَهُم مِنَ النِّعم، وعرَّفهم موضِعَ الشُّكر، ثمَّ جَزاهُم في الآخرة على الطّاعة[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

البدارُ إلى تحصيلِ مغفرةِ اللهِ تَعالى وجنَّته الواسعة

سارعوا أيُّها المؤمنون سعي المُتَسابِقين في ميدانِ الفلاح، وامضوا بخُطا العزائم إلى مغفرة من ربِّكم، وبادروا إلى موجباتها من طاعةٍ وإخلاصٍ، وارتَقوا إلى جنَّةٍ عَرْضُها كعرْضِ السَّماء والأرض، فكيفَ بطولِها، وهيَ بساطٌ لا يحدُّ؟ وقد أُعِدَّت لمَن آمَنَ باللّه ورسلِه، فإيمانٌ صادِقٌ يَكْفي لاستِحقاقِها، وذلك فضلٌ مَحْضٌ مِنَ اللّهِ تعالى، لا بعَمَلٍ يوجِبُهُ، ولا باستِحقاقٍ يَفرِضُه، بل منَّة يفيضُها على مَن يشاءُ من عبادِه، وهو ﷻ ذو الفَضْلِ العظيم الذي لا تُدْرَكُ نهاياتُه، ولا تُحْصى عطاياهُ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ فَصْلِ هذه الآيةِ عَمّا قبلَها:

التَّشويق إلى دار البقاءِ

فُصِلَ قولُ اللّهِ تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ عمّا قَبْلَه؛ لأنَّه لَمّا كشَفَ السّياقُ أنَّ الدُّنيا ظلٌّ زائل وخيال مُضْمَحِلٌّ، لا حَظَّ لها من الثَّبات؛ صُرِف أولوا البَصائِر عنها؛ لِما فيها من دناءةٍ وحَقارَةٍ، وأبرز في المقابل أنَّ الآخرة هي دارُ البقاء والكمال، فيها تمام النَّعيم وخلودُ العطاء، فكان من تمام البيانِ أن يُساق نداءُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فضل).
(2) الراغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فضل).
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 418.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 189.

التَّشمير إلى ميادين السّباق، حيثُ المغفرةُ والجنَّة؛ ليُشْعِل في القلوبِ نارَ الشّوق، ويهيِّج في النُّفوس رغبة السّاعين، حتّى يتنافَسوا في عُلوِّ مراتبِها، ويتسابقوا إلى شَرَفِها وجَلالها[1].

فلَم تُعْطَف؛ لتُحْكِمَ استقلالَ مَقْصَدها، واقْتُصِرَ فيها على جانِب التَّرغيب؛ إذْ هو المقصودُ الأعظَمُ مِن المَقام، دون إطنابٍ في جانبِ التَّحذيرِ[2].

سِرُّ التَّعبير بالمُسابقَةِ دونَ المُسارعة كما في سورة آل عمرانَ:

المُسارعَةُ إلى الشَّيء مُتَقَدِّمَةٌ على مُسابقَتِهِ

إنَّ سِرَّ التَّعبير في هذه الآية الكريمة بلفظِ المسابقة دون المسارعَةِ، كما ورد في سورة آل عمران: ﴿*وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: 133]، أنَّ المُسابقَةَ تَقْتَضي وجودَ قرينٍ يُبادره العبدُ، فيَجْتَهِد غايةَ الاجتهادِ؛ ليتقدَّم عليه، وقد يتخفَّف إن كان خَصْمُه بطيئًا، فهي أعمُّ من المُسارعة، وأمّا المسارعة؛ فلا تكون إلّا ببذل الجُهْد من الطَّرفين مع اقترانها بسُرْعَةٍ ظاهرة في العُرْف، فهي أخصُّ وأشدُّ مبالغَةً، ومِن ثمَّ جاءت آية آل عمران بلفظ المسارعة؛ لأنَّها مسوقة للحثِّ على التَّجرُّد التّامِّ عن النَّفس والمال، وسائر الحظوظِ من أصلها[3].

وآثر البيانُ القرآنيُّ لفظ المسارعَة في سورة آل عمران؛ لأنَّ المسارعة إلى الشَّيء تكون قبل مُسابقَتِه، كما قال اللّهُ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: 61]، فاستُعمِلَ اللَّفظ المقدَّم – وهو المسارعَةُ – في السّورة المتقدِّمة، وهي سورة آل عمران، واللَّفْظُ المؤخَّر – وهو المسابقَةُ – في السّورة المتأخِّرة، وهي سورة الحديد، ويؤيِّد كونَ المُسارعَةِ أسبَقَ أنَّ المسارِعَ إلى الشَّيء قد

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 291.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 407.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 292.

يحصُلُ له ما سارعَ إليه، وقد لا يحصُلُ له ذلك، ولا يُقال غالبًا: سَبَقَ، إلّا فيمَن تَحَصَّل له مرادُهُ[1].

دلالَةُ الأمر في قوله: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾:

الأمر في قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ واردٌ على أصلِهِ من إفادةِ الوجوبِ واللُّزوم، وهو ناطِقٌ بالدَّلالَةِ على الفَوْرِ في مادَّتِه وصيغَتِه، فالأمر هنا لا يحتَمِلُ التَّأجيل، ولا يقبلُ التَّراخيَ، بل هو نداءٌ ملحٌّ إلى المبادرَةِ العاجِلَة، ومطالبة جازمَة بالانبعاثِ الفوريِّ نحوَ مغفرةِ اللّهِ تَعالى وجنَّته، ومِن ثمَّ قال أهل العلم: إنَّ هذه الآية دلَّت على وجوبِ المُسارعَةِ، فكان التَّراخي مَحْظورًا[2].

الأمـر بالسَّبق وإفـادة الفور ونـداء الملحِّ إلى المبادرة العاجلة وعدم التَّراخي

دلالة المحذوفِ مِن جُمْلَةِ المُسابقَةِ:

في قول اللّه تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ محذوفٌ، والمعنى: "تسبقون آجالَكُم بأعمالكم التي توجب لكم المغفرة"[3]، فالسَّبْقُ ليس بالزَّمان فحسبُ، بل بالعمل الصّالح الذي يَسْبِقُ صاحبُه إلى مغفرة اللّهِ تَعالى ورضوانه.

بـأعـمـالِـكُـم تَـسْـبِـقـونَ آجـالَـكُـم، فتَنالونَ مغفرةَ ربِّكُم

دلالَةُ صيغَةِ المُفاعلة في قوله: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾:

الفعلُ ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ وارد على صورةِ المُفاعلَة[4]، وهي صيغَةٌ لا تكونُ إلّا بين اثنَين كما تقول: سابقَ زيدٌ عَمرًا، وهذا السَّبْقُ إلى المَغْفِرَة يكونُ بأن يُسارِعَ العبد مسارعَةَ السّبّاقين لأقرانهم في الميدانِ، فالمُسابق لا يَكْتَفي ببعضِ الجُهْدِ، بل يَجْتَهِدُ الاجتهادَ كُلَّهُ، ويُؤَيِّد هذا المعنى مَجيئُهُ بلَفْظِ المُسارعَةِ في سورة آل عمرانِ[5].

سارِعوا مسارعَةَ المُسابِقين لأقرانِهم في الميدانِ

وفي صيغَةِ المُفاعلَةِ ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ مَعْنى المبالَغَةِ أيضًا؛ إذِ الأمر

(1) ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل: 1/ 90.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 465.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 9/ 530.
(4) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 2/ 209.
(5) الرازي، أنموذج جليل، ص: 508.

الإسراعُ في طريقِ الحقِّ لِبُلوغِ الدَّرَجات، دون تقصيرٍ يورِثُ النَّدَمَ أو تَكاسُلٍ يُطفِئُ الهِمَمَ

بمبالغة الإسراع يأتي مراعاةً لقِصَر عُمُرِ الدُّنيا، فينبغي الإسراعُ في طريق الحقِّ؛ لئلّا يفوتَ الوصولُ إلى الدَّرجات العاليةِ؛ بسبب الإهمال أو التَّكاسُلِ[1].

دلالَةُ تعديَةِ الفِعْلِ ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ بـ ﴿إِلَىٰ﴾:

عُدّيَ فعل المسابقةِ في قوله: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ﴾ بـ ﴿إِلَىٰ﴾ التي تفيدُ انتهاء الغاية[2]؛ لبيانِ الاتِّجاه الحقِّ الذي ينبغي أن يسلُكَهُ النّاسُ، ويتنافَسوا فيه، وهو العمَل للدّار الآخرة، وابتغاء مرضاة الله تَعالى، والفوز بمَغْفِرَته، ونعيم جنّاته، فمَن أراد التَّفاخر أو الاستكثارَ، فليكُن ذلك في هذا السَّبيلِ بالعمَلِ الصّالحِ الطَّيِّب، في ظلِّ الإيمانِ واتِّقاء المحارِم؛ إذ يُحْمَدُ التَّنافسُ، ويطيب السِّباقُ، ويُثْمِرُ الاجتهادُ في ميادين الطّاعة والبرِّ[3].

السِّباق إلى المغفرة في اتِّجاهِ الحقِّ، والتَّنافس في ميادينِ الطّاعة

وفي تعديَةِ الفعل بـ ﴿إِلَىٰ﴾ إشارةٌ إلى أنَّهم في ميدانِ سِباقٍ يَجْرونَ إلى غايةٍ مُسابِقينَ إليها، والمعنى المراد: سابِقوا إلى سببِ المَغفِرة، فالمُسابَقةُ هنا ليسَت حركَةً مجرَّدةً، بَل هي اجتهادٌ متَّصل نحوَ الغايةِ المَنشودَة[4].

دلالَةُ التَّنكير في قوله: ﴿مَغۡفِرَةٖ﴾:

نُكِّر لفظُ المغفرةِ لإفادةِ التَّعظيم، ولتكون الجملةُ مستقلَّةً بذاتِها؛ إذْ سبَقَ ذِكْرُها في قوله: ﴿وَمَغۡفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، فمُقْتَضى الظّاهر أن يُقال: سابقوا إلى المغفرةِ، أي: أكثروا من أسبابها ووسائلها، واجتَهِدوا في سُلوكِ ما يُقَرِّبكُم منها[5].

تعظيمُ المغفرةِ، واستقلالُ الجُمْلَةِ في بيانِ السَّعْيِ إليها

سِرُّ التَّعبير بالمغفرةِ دونَ التَّوبةِ:

عُبِّرَ بلفظ المغفرةِ دون التَّوبة؛ لكونِ المقامِ عظيمًا، والإنسانُ وإنِ

(1) إسماعيل حقّي، روح البيان: 9/ 373.
(2) ابن بابشاذ، شرح المقدمة المحسبة: 1/ 236.
(3) الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 14/ 780.
(4) الصابوني، صفوة التفاسير: 3/ 309.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 408.

اجتَهَد في الطّاعة ضعيفٌ، لا يسعَهُ نيلُ الكمالِ إلّا بالعَفْوِ الإلهيِّ ومغفرتِهِ، سواءٌ أكان سابقًا أم لاحقًا مِن الأبرارِ والمُقَرَّبين، وقد نبَّه القرآنُ الكريمُ على ذلك بقولِهِ في السّابقين: ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾، أي: سترًا لذنوبكم عَيْنًا وأثرًا، جامعًا بين الغفران الكلّيِّ، والرَّحمة الشّاملةِ[1].

لا يَبلُغُ العَبدُ الكمالَ إلّا بعَفوِ اللهِ تَعالى ومَغفِرَتِه

بَلاغَةُ المَجاز في المُسابقَةِ إلى المَغْفِرَة:

قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ وارد موردَ المَجاز، فالمُسابقَةُ تتجلّى في أنَّها دعوةٌ عامَّة للنّاس إلى عمَلٍ يوجِبُ لَهُم المغفرة[2]، وهو الاجتهادُ في الإيمانِ، والعمَلِ الصّالح، وقيامِ الطّاعات[3]، فالمسابقَةُ هنا مجازٌ عَن التَّنافس في بلوغِ رضوان الله تَعالى ورِضاهُ.

سابقوا إلى الغفران بالإيمان والإحسان، وارتقوا في الطّاعات دون كسل أو نقصان

دلالَةُ التَّعبير بـ ﴿مِّن﴾ في قولِهِ: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾:

﴿مِّن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على الابتداءِ[4]، فتُؤْذِنُ بالكَمال؛ إذ إنَّ المغفرةَ صادرَةٌ مِنَ اللهِ ﷻ، جامعًا بين العطاء المُطْلَق، والسَّببِ الحقِّ لنَيْلِ الرِّضا والفَضْل.

ابتداءُ المَغْفِرَة مِن الرَّبِّ إيذانٌ بالكمالِ والفضلِ

سِرُّ التَّعبير بالرُّبوبيَّة ﴿رَّبِّكُمْ﴾:

استُعمِل لفظ الرُّبوبيَّة ﴿رَّبِّكُمْ﴾؛ للإشارة إلى إحسانِه إليكُم، فهو الذي ربّاكم، وأنعم عليكم وأحسن إليكم بعدَ الإيجادِ بأنواعِ الأسباب، فتشمَلُ ربوبيَّتُه الهدايةَ والتَّربيةَ والرِّعايةَ، وهو الذي يوفِّر لكم أسبابَ الخير والبركةِ حينَما تَقومونَ بامتِثالِ أوامِرِه، واجتناب زواجِره[5].

مَن أحسَنَ إليكُم بالإيجادِ والإنعامِ، فأحْسِنوا إليه بالانقيادِ والطّاعةِ

فمعنى الرُّبوبيَّةِ في ﴿رَّبِّكُمْ﴾: أنَّه الذي ربّاكم على فِطرَةِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 292.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 194.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 110.
(4) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 14/ 221.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 292.

الهداية والتَّوحيد، ووفَّر لكُم وسائِلَ دخولِ جنَّةٍ واسعةٍ فسيحَةٍ[1]، فكانَ جامعًا بين الخَلْقِ والإيجادِ، وبينَ التَّربيةِ والإرشادِ.

دلالَةُ الإضافةِ في قوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾:

أُضيفَ اسم الرَّبِّ إلى ضمير المخاطَبين في قوله تَعالى: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ لإظهارِ مزيدِ اللُّطْفِ بهم[2]، ولاستِشعارِ أثَرِ الرِّعايَةِ الإلهيَّة القَريبَة، فتَزْداد النُّفوس حَماسًا واجتهادًا في السَّبْقِ إلى الطّاعاتِ.

بلطفٍ من ربِّهم الرَّحمن تسابَقَ العابدونَ إلى الرِّضوان

بلاغَةُ الاستعارةِ في قوله: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾:

قول اللهِ تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وارد على سبيلِ المجازِ؛ إمّا المرسَلُ أو الاستعارة، فأمّا المجازُ؛ فمِن إطلاقِ الملزوم وإرادَةِ لازمِه؛ إذ استُعمِلَ اللَّفظُ في لازم معناه؛ فالمرادُ ليسَ حقيقةَ السَّبْق الذي يَقْتَضي التَّقدُّمَ على الأقران، بل لازمُه، وهو المُبادرَةُ إلى ما يكون سببًا للمغفرة، ودخولِ الجنَّة، فلا يُتَوَهَّم أنَّ العِبرةَ بمُجرَّد التَّقدُّم على الآخرين، بل بحقيقةِ الاندفاع إلى أسبابِ القَبولِ، والفوزِ بالجنَّة[3].

مَن رامَ المغفرة؛ فليُبادِر بالسَّعي إلى أسبابِها

ويجوزُ أن يكونَ مِن بابِ الاستعارَةِ التَّبعيَّة؛ إذ جُعِلَ العمل الصّالح في ميدانٍ يُشْبِهُ ميدانَ السِّباق؛ تنبيهًا على المبالغة في تحصيل المَبَرّات، واستِحثاثًا على سُرْعَة المبادرةِ إلى الطّاعات في أوائِلِ أوقاتِها، فجاء التَّعبيرُ أبلَغَ من قوله: ﴿*وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ [آل عمران: 133]، وأشدَّ وقعًا من قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [آل عمران: 133][4]؛ لِما فيه مِن تصويرٍ بديعٍ يُلْهِبُ الهِمَم، ويُشْعِلُ في القَلْبِ جذوةَ التَّنافس في ميادينِ القُرُباتِ، حتّى كأنَّ الفَضْلَ الإلهيَّ غايَةٌ يَتَسابَقُ إليها المُتَسابِقونَ.

(1) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 390.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/ 85.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 185.
(4) القونوي وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 18/ 465.

دلالَةُ التَّعبير بالواوِ في قوله: ﴿وَجَنَّةٍ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ﴾ جاءَتْ عاطِفَةً الجنَّةَ على المغفرةِ[1]، فالآية جمَعَت بينَ رفْعِ العُقوبَةِ وآثارِها، وبينَ إسباغِ النِّعمةِ؛ ليَكْتَمِلَ بذَلِكَ كمالُ العطاءِ الإلهيِّ.

كمالُ العطاءِ بين رفْعِ العُقوبَةِ وإسباغِ النِّعْمَةِ

استِعمالُ لفظِ (جَنَّةٍ) مفردًا منكَّرًا:

أُفْرِدَ لفظُ (جَنَّةٍ) في قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾، أي: إنَّها جنَّة واحدةٌ مِن جنّات النَّعيم[2] لكلِّ مؤمنٍ مطيعٍ، موفورةُ النَّعيم، كأنَّها وُهبت لَهُ وحدَهُ، فلا يُشارِكُهُ فيها غيرُه[3]، وإيرادُها نكرةً إيماءٌ إلى عِظَمِ تلك الجنَّة، وجلالِ قَدْرِها[4].

جنَّة عظيمة لكلِّ مـن أطاعه من عباده المؤمنين

سِرُّ تقييدِ المَغْفِرَةِ بقوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ دون (الجنَّة):

في تقييد المغفرةِ بقوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ دون الجنَّة؛ لكونِ المغفرَةِ أثَرًا مباشرًا مِن آثارِ رحمَةِ الله تعالى ولُطْفِه، فهي عطاءٌ مَحْضٌ صادِرٌ مِنَ الرَّبِّ الغفور، لا مدخلَ فيه لعمَلِ العَبْدِ إلّا من جِهَةِ التَّعرُّض لأسبابها؛ فناسب أن تُقيَّد بالرُّبوبيَّة الدّالَّة على التَّربية والرَّحمة والسَّتر، أمّا الجنَّة؛ فهي دار الجزاءِ، ينالُها المؤمنون بفَضْلِ الله تَعالى أوَّلًا، ثُمَّ بما قدَّموا مِن عملٍ صالحٍ ثانيًا.

المـغـفـرةُ عطاء ربّاني لا يُشترى، والـجـنَّـة جـزاءٌ إلهيٌّ يُرتجى

دلالَةُ تقديمِ المَغْفِرَةِ على الجنَّةِ:

قُدِّمَت المغفرَةُ على الجنَّةِ في الآيةِ؛ لأنَّ المغفرةَ هيَ الأصلُ والشَّرْطُ، والجنَّة ثمرةٌ ونتيجَةٌ[5]، فمَن غَمَرَتْهُ رحمَةُ اللهِ تَعالى، وكَساهُ سِتْرَهُ؛ كان جديرًا بأن يُفْتَحَ له بابُ الفِرْدَوس، فالمغفرةُ تمهيدٌ يُطَهِّر الصَّحائفَ، ويُنَقّي القلوبَ مِن أدْرانِ الذُّنوب، والجنَّةُ جزاءٌ

المَـغْـفِـرَةُ تطهيرٌ قـبـلَ الـجـزاءِ، والـجـنَّـةُ ثـمـرَةُ القُلوبِ المُنَقّاة

(1) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 471.
(2) الثعلبي، الكشف والبيان: 9/ 244.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 465.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 72.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/ 420.

يتَجلّى بعد التَّطهيرِ، وفي تقديمِ المَغْفِرَةِ على الجنَّة في الآية الكريمَةِ: تقديمٌ لِلتَّخْلِيَةِ عَلى التَّحْلِيَة[1].

سِرُّ جَمْعِ المُسارعَةِ بينَ المغفرة والجنَّةِ:

بين الستر والإكرام حين يَجْتَمِعُ دفْعُ العقوبة وجلْبُ النَّعيم

السِّرُّ في جمع المسارعَةِ بينَ المغفرة والجنَّة أنَّ المقصودَ وعْدٌ جامِعٌ يضُمُّ طَرَفَي الكرامَة الإلهيَّة؛ إذِ المغفِرَةُ رفْعٌ للضُّرِّ ودفْعٌ للعُقوبَةِ، والجنَّة جَلْبٌ للنَّفع، واستِجْلابٌ للنَّعيم، فلو اقتصر الوعدُ على المغفرةِ؛ لكان فيه سَتْرٌ بلا إكرام، ولو قُصِرَ على الجنَّةِ؛ لَما استقامَ الدُّخول إليها مع بقاءِ الأوزار.

سِرُّ تَقْييدِ الجنَّة بوَصْفِها بالعَرْضِ:

تقريبٌ لِعَظَمَةٍ لا تُدْرَكُ، وإيحاءٌ بسَعَةٍ لا تُحَدُّ

ذُكِرَ العَرْضُ في قول اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ تنبيهًا على عِظم السَّعة؛ إذ العَرْضُ لا يُذْكَرُ إلّا حيث يُراد الإيحاءُ بالامْتِدادِ البالغ، والفُسْحَةِ العظيمة، فجَعَلَ اللهُ سُبْحانَهُ عَرْضَها كعرضِ السَّماء والأرض، لا على سبيل الحَصْرِ الدَّقيق، والتَّقدير المحسوب، ولكن ليُقَرِّب إلى أذهانِ الخَلْقِ عظمَةَ شأنِها؛ إذْ لا يُتصوَّر في مدارك البَشَر شيءٌ أوسَعُ مِنَ السَّماوات والأرض[2].

سِرُّ تخصيصِ ذِكْرِ العَرْضِ دون الطّولِ:

ذِكْرُ عرضِ الجنَّة تمثيلٌ لشدَّةِ السَّعَةِ

في ذِكْرِ العرضِ دون الطّولِ جريٌ على طريقة العرَبِ في تقديرها سعةَ الأشياءِ بعَرْضِها؛ إذ هو الأقربُ إلى تصوُّرهم ومقاييسِهم في المَحْسوساتِ، فذِكْرُ العَرْضِ هنا تمثيلٌ بما يَأْلَفونَه في حياتِهم ومُعاملاتِهم؛ إذ يعبِّرون بالعَرْضِ عن السَّعَة، ثُمَّ إنَّ أعظمَ ما يستقرُّ في أذهانِ الخَلْقِ مِنَ الاتِّساعِ إنَّما هو امتدادُ السَّماوات والأرض[3].

بيانُ شدَّةِ السَّعةِ والامتدادِ في وصْفِ الجنَّةِ

وجرت العادةُ أنَّ كلَّ ما له طولٌ وعرضٌ، فإنَّ عرضَهُ يكون أقلَّ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 211.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 9/ 530.
(3) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 5/ 128.

من طوله، فإذا وُصِفَ العرضُ - وهو في الغالبِ أضيَقُ الجانبَيْنِ - بهذا البَسْطِ العظيم والامتدادِ الواسع؛ كان ذلك دالًّا بطريق الأَوْلى على أنَّ الطّول أبسَطُ مَدًى، وأعظَمُ سعَةً[1].

مَعْنى الكافِ ودلالتُها في قوله: ﴿كَعَرْضِ﴾:

فـضـاءُ الـجـنَّـةِ الْمُطْلَقُ سَعَةٌ لا تحدُّ، وعظمَةٌ لا تُحاط

الكافُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حرفٌ دالٌّ على التَّشبيهِ، وهو تشبيهٌ بالإطلاقِ بلا تَقْييدٍ أو حَصْرٍ، فجاء الذِّكرُ بهذهِ الصّياغة؛ ليُشيرَ إلى أنَّ عرضَ الجنَّة أوسعُ وأعظمُ مِن امتدادِ السَّماوات والأرض، بما يتناسب مع إدراكِ العَبْدِ لِسَعَتِها، فلو كان عرضُها بهذا الاتِّساع؛ فما ظنُّك بطولِها الذي لم يُحدَّ، ولا يُقدَّر؟ فيُفهم مِنهُ أنَّ الجنَّة غيرُ متَناهيَةٍ، ولا تحدُّها حدودٌ[2].

سِرُّ إعادَةِ لَفْظِ (عرض) معَ سَبْقِ قولِهِ: ﴿عَرْضُهَا﴾:

سَعَةٌ لا تُحَدُّ، وفَضْلٌ لا يُعَدُّ

أُعيدَ لفظُ العَرْضِ في قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، مع سبق ذِكْرِه في سياق الحديثِ عَنِ الجنَّة؛ لإفادة التَّأكيدِ، والتَّنبيه على المَعْنى، ولفْتِ الانتباه إلى عِظَمِ السَّعة وامتدادها، فهي سَعَةٌ عظيمَةٌ جدًّا، فيستحقُّ الإشعارُ بها مرَّةً بعدَ مرَّةٍ.

دلالَةُ تَشْبيهِ عَرْضِ الجنَّةِ بمَجْموعِ عَرْضَيِ السَّماء والأرض:

تصويرٌ بِما وسِع البصَر، وامتدَّ في النَّظَرِ؛ ليُدْرِكَ العبدُ عِظَمَ القَدْرِ وسَعَةَ الأثَرِ

تشبيهُ عَرْضِ الجنَّة بمجموعِ عَرْضَي السَّماوات والأرض واردٌ على جِهَةِ المبالغَةِ، فالجنَّة من حيثُ الامتدادُ والانْفِساحُ في غاية العظمةِ والاتِّساع، فحَسُنَ التَّعبير عنها بمثالٍ يفوقُ كُلَّ تَصَوُّر، كما تقولُ للعابرِ عَن بحرٍ مُتَرامي الأطراف: هذا بَحْرٌ، أو لمَنْظَرِ جبَلٍ شاهقٍ: هذا جبلٌ، فالآية لَم تَقْصِد تحديدَ العرْضِ، بل المرادُ أن تُصَوِّرَ للإنسانِ أعظمَ ما رآهُ في إدراكِهِ وحيِّز نَظَرِهِ[3].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 479.
(2) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 11/ 350.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 4/ 205.

سِرُّ إفراد ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ دون جَمْعِها:

إفرادٌ في اللَّفظ وعمومٌ في المَعنى

أُفْرِد لفظُ السَّماء في قوله: ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لأنَّ المرادَ به جنسُ السَّماواتِ كلِّها لا مفرَدُها، كما يَظْهَرُ مِنَ الجَمْعِ في سورة آلِ عمران[1]، فالإفرادُ يدلُّ على الكلّيَّة والعمومِ معَ وُضوحِ اللَّفظ.

فالمرادُ هو الإشارة إلى جنس السَّماوات كلِّها باعتبارها كلّيَّة موحَّدة في الاتِّساعِ والعظمَةِ، لا التَّفصيل إلى تعدُّدها كما في سورةِ آلِ عِمْرانَ، ولذا عُبِّرَ بالإفراد[2]؛ ليُبرزَ العمومَ والكلّيَّة بإيجازٍ بليغ، ويُبقي الصّورةَ حاضرَةً في الذِّهن دونَ تَشْتيتٍ أو حَصْرٍ.

دلالَةُ ذِكْرِ الأرضِ معَ السَّماءِ مَع أنَّ السَّماءَ أكبَرُ:

في الجمعِ بين المألوف والعظيمِ: تقريبٌ لِعَظَمَةِ الجنَّة بما يفوقُ تصوُّرَهُم وحدودَ خيالِهم

اقترانُ الأرض المحدودةِ مع السَّماء الواسعَةِ تمثيلٌ بما يعيهِ النّاسُ، ويعهدونَهُ، ويستقرُّ في نفوسِهم وأفكارهم[3]؛ إذْ أكثَرُ ما يقَعُ في تَصَوُّرِهم، ويُدْرِكونَهُ هو امتدادُ الأرضِ والسَّماء معًا، والسَّماءُ هنا تشمل كلَّ ما علاك، أي: جميع السَّماوات السَّبع وما فوقها[4].

دلالةُ اللّامِ في لفظِ ﴿ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

استغراقٌ ليَشْمَلَ كلَّ شيءٍ مِنَ المادَّةِ والامتدادِ

دلالةُ (أل) في لَفْظَي ﴿ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ للاستغراقِ[5]، فيُراد بهما كلُّ ما يَشْمَلُه هذان الجِنسانِ مِن المادّيات والامتداداتِ، فلا يُستَثنى شيءٌ من السَّماوات السَّبع وما عليها، ولا شيءٌ من الأرض وما عليها.

سِرُّ فَصْلِ جُمْلَةِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ عمّا قبلها:

سِباقُ القُلوبِ إلى الجنَّةِ، وجوابُ الفَضْلِ لأهلِ المِنَّة

فُصِلَ قولُ الله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّه استئنافٌ بيانيٌّ، فالأمْرُ بالمُسابقَةِ إلى المغفرة والجنَّة يثير

(1) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 348.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 292.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 465.
(4) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 11/ 350.
(5) إسماعيل حقّي، روح البيان: 9/ 374.

في نُفوس السّامعين أن يَتَعَرَّفوا مَنِ الذين أُعدَّت لَهُمْ، فجاءَ الجوابُ بأنَّها أُعِدَّت للذين آمنوا باللّه تَعالى ورُسلِهِ ﷺ؛ لأنَّهم أهلُها فَضْلًا مِنَ اللّهِ تعالى.

دلالَةُ التَّعْبير بالفِعْلِ ﴿أُعِدَّتْ﴾:

جـنَّـةٌ أُعِـدَّت، فـأُكْـمِـلَـت، وأُخْـكِـمَـت، وبـأيْـسَـر أمْـرٍ قُضيَت

عُبِّر بفِعْلِ الإعدادِ في قولِهِ تَعالى: ﴿أُعِدَّتْ﴾؛ لبيانِ تمامِ الإعدادِ وكَمال التَّهْيِئَة، فاللّهُ تَعالى قد أعدَّ هذه الجنَّةَ المَوْعودةَ لِعِباده المُؤْمِنين، وفرَغَ مِنْ أمْرِها بأيْسَرِ الأمْرِ[1].

واستِعمالُ الفِعلِ ﴿أُعِدَّتْ﴾ يقتَضي الحَصرَ والتَّخصيص، فالإعدادُ هُنا يَقتَصِر على المُطيعين[2].

دلالَةُ التَّعْبير بفِعْلِ الإعْدادِ ماضيًا مبنيًّا للمَفْعولِ:

الجنَّة مخلوقةٌ وموجودةٌ الآنَ

الفِعْلُ ﴿أُعِدَّتْ﴾ واردٌ بصيغَةِ المُضيِّ[3]؛ للدَّلالةِ على أنَّ الجنَّة قد خُلِقَت، وأُعِدَّت، وهي الآن موجودةٌ؛ لأنَّ الأصلَ في الفعلِ الماضي دلالتُهُ على وقوعِ الفِعْلِ وتحقُّقِهِ، وقد دلَّت نصوصٌ كثيرةٌ جدًّا من الكتابِ والسنَّةِ على أنَّ الجنَّة مخلوقةٌ الآنَ، وهي عقيدةُ أهل السُّنَّةِ والجماعَةِ.

سِرُّ تَخْصيصِ الجنَّةِ بالذين آمَنوا باللهِ ورُسُلِه، وفي سورة آل عمرانَ بالمُتَّقينَ:

دِقَّـةُ النَّـظْـم الـقُـرآنيِّ في اختيار الألفاظِ المُناسِبَةِ لِمقاماتِها

خُصَّت الجنَّةُ هنا بالذينَ آمَنوا باللّهِ تَعالى ورُسُلِه، بينَما خَصَّها النَّظم القرآنيُّ في سورةِ آلِ عِمْرانَ بالمُتَّقين؛ لأنَّ الفارق في السّياق والمقام، فآية آل عمران جاءت في الأمْرِ بالمُسارعة، وهو أخصُّ مِنَ المُسابقَةِ؛ إذ الهدفُ هوَ الحثُّ على التَّجرُّدِ الكامِلِ عنِ النَّفسِ والمال وجميع الحُظوظ؛ لذا كانت الجنَّةُ هناك للمُتَّقين الموصوفين بهذا التَّجرُّد التّامِّ، أمّا آية الحديدِ؛ فواقِعَةٌ في سياق التَّصديقِ والإيمانِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 293.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 409.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 186.

الصّادِق، الذي يُعَدُّ تجرُّدًا عن فُضولِ الأموال دونَ غيرِه؛ فلذلك كانَت الجنَّةُ مُخَصَّصة بالَّذين آمَنوا[1].

دلالَةُ اللّامِ في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

اختِصاصُ الجنَّة بأهْلِ الإيمانِ

دلالةُ اللّام في قولِه تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لامُ الاختِصاصِ والاستِحقاقِ[2]، أي: إنَّ الإيمانَ وحدَهُ يَكْفي لانتفاع المؤمنين بهذه الجنَّة، دون أن يَشْتَرِكَ معهُم فيها غيرُهم، فيُفهَم مِن ذلك أنَّ صفَةَ الإيمانِ شَرْطٌ للانتماء إلى أهْلِ الجنَّة[3]، وأنَّها جزاءٌ مخصوصٌ لأصحابِ الإيمانِ، وثمرةٌ مباشِرَةٌ لتَصْديقِهم باللّهِ تَعالى ورسلِه ﷺ.

سِرُّ التَّعبير بقوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ دونَ (للمؤمنين):

بالإيمانِ نالوا الغُفرانَ، وأُعِدَّت لهم الجنانُ في أوسَعِ مكانٍ

جاءَ التَّعبيرُ بالاسمِ المَوصولِ وصلتِه ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ دون (للمؤمنين)؛ للدَّلالة على أنَّ جملةَ الصِّلة علَّةٌ لاستحقاقِهم الجزاءَ المَذكورَ، فالإيمانُ باللّهِ تَعالى ورسُلِه ﷺ علَّةٌ لاستحقاقِهم المغفرةَ والجنَّة التي عَرْضُها كعرضِ السَّماوات والأرض التي أُعِدَّت لهم.

دلالَةُ التَّعبير بفِعْلِ الإيمانِ ماضيًا:

في استعمالِ فِعْلِ الإيمان ﴿ءَامَنُواْ﴾ ماضيًا دلالةٌ على أنَّهم أوْقَعوا هذهِ الحقيقَةَ في قُلوبِهم وأعمالِهم، وهيَ الإيمان، ورسَخَت فيهِم، فتحقَّقوا بها غايةَ التَّحقُّق.

دلالَةُ تَعْديةِ الفعلِ ﴿ءَامَنُواْ﴾ بالباء:

بيانُ شِدَّةِ ارتباطِهم بِما آمَنوا بِهِ

عُدّي فعلُ الإيمان بالباءِ في قول الله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾؛ للدَّلالةِ على لزومِهم هذا الإيمانَ، وثبات الإيمان فيهم ورسوخِه في قلوبِهم، وذلك لأنَّ الباءَ تدلُّ في الأصلِ على الملاصقةِ، فتعديةُ فِعْلِ الإيمانِ بالباءِ إيماءٌ إلى شدَّةِ ارتباطِهم بما آمنوا بِهِ ارتباطًا وثيقًا أكيدًا.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 292.
(2) محمّد الهلال، تفسير القرآن الزّري: 11/ 350.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 211.

دلالَةُ التَّعْبير بالاسمِ الأحسَنِ (اللهِ):

الاسمُ الأحسنُ (الـلـه) جـامـعٌ لمَعاني العظمَةِ والكَمال

المقصود من التَّعبير بالاسم الأحسَنِ (اللهِ) الإيماءُ إلى أنَّه الذي له جميعُ العظمَةِ والكمال لأجل ذاتِه، لا لِشَريكٍ لَهُ، ويكونُ لَهُ الإيمانُ[1] خالصًا من كلِّ غرَضٍ دُنْيَويٍّ أو اعتباريٍّ.

سِرُّ التَّعْبير بالرُّسُلِ جَمْعًا:

وجـوب الإيـمـانِ برسُلِ اللهِ تَعالى جميعًا

في جَمْعِ الرُّسل إشارةٌ إلى أنَّ الإيمان بجميع رسل الله تعالى هو الإيمان الحقُّ؛ إذْ كانوا جميعًا على دينٍ واحدٍ هو الإسلام، كما بيَّن سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: 19]، وهذا الإيمان الشّامل يُفْضي إلى نيلِ فَضْلِ اللهِ العظيم، كما جاءَ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[2].

وفي جَمْعِ الرُّسُل أيضًا إيماءٌ إلى شمولِ كلِّ أمَّةٍ آمنَت باللهِ تَعالى وبرُسُلِها الذين أرْسَلَهُم اللهُ سُبحانَهُ إليهم، دون أن يُلْزَمَ المؤمنونَ في أمَّةٍ ما اتِّباعُ رسولٍ أُرْسِلَ إلى أمَّة أخرى، ولم يُبعَث إليهم[3]، مع وجوبِ الإقرارِ بأنَّ جميعَ الرُّسل جاؤوا على صِراطٍ واحِدٍ، هو صراطُ الإيمانِ والتَّوحيدِ.

سِرُّ التَّعبير بالرُّسُلِ دونَ الأنبياءِ مع دلالَةِ الإضافَةِ:

الـرَّسـولُ أخـصُّ مِنَ النَّبيِّ

جاءَ التَّعبير بالرُّسل دون الأنبياء؛ لأنَّ الإيمانَ بالرُّسلِ يكمُل بالإيمان بما في أيديهم من الكتب الإلهيَّة والعمل بما فيها[4]، فلا يكتفي الاعتقاد بصفات النُّبوَّة فحسبُ، وفي اختيارِ لفظِ الرُّسُل دون الأنبياء في قول الله تعالى: ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾، إشارةٌ إلى جانبِ التَّبليغ والدَّعوة؛ إذِ الرَّسول مَن أوحيَ إليه بشَرْعٍ، وأُمِرَ بتبليغِهِ، والإيمانُ بالرُّسل يتضمَّن تصديق ما جاؤوا به من

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 293.
(2) الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 14/ 781.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 409.
(4) إسماعيل حقّي، روح البيان: 9/ 374.

شرائعَ مُبلَّغة، ممّا يجعل إيمانَ المؤمنين إيمانًا شاملًا لجميع الرُّسل مِن غير تفريق.

وفي إضافةِ لَفْظِ الرُّسل إلى الضَّمير العائد إلى اللهِ سبحانه في قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾، إشعارٌ بجلالَةِ النِّسْبَةِ وعُلوِّ المَقام، فهم رُسُلُه الذين اصطفاهم واختارهم، وحمَّلهم أمانةَ وحيه، وبهم أشرقَ نورُ هدايته في الآفاق، فالإضافةُ هنا ليسَت مجرَّد صلةٍ لغويَّة، بل هي رابطةُ تَشْريف؛ إذ هُم مَنْسوبونَ إليهِ تعالى، مُشرَّفون برسالَتِه، مكرَّمون بحَمْلِ كَلِمَتِه.

سِرُّ الاقتصارِ على الإيمانِ باللهِ تَعالى ورُسُلِهِ ﷺ دونَ بقيَّة الأركانِ:

لُبُّ الإيمانِ الجامعِ هو الإيمانُ المطلق باللهِ تَعالى ورسلهِ ﷺ

اكتُفيَ في متعلِّق الإيمان بذِكْرِ اللهِ تَعالى ورسله ﷺ دون سائر أركان الإيمانِ؛ لأنَّ المقصودَ هنا إبراز لبِّ الإيمان، وأصلِهِ الجامع، فمَن آمن باللهِ تَعالى إيمانًا مطلقًا، وآمن برسُلِه جميعًا تصديقًا شاملًا لا يَعْتَريهِ شكٌّ ولا نَقْصٌ؛ فقد استحقَّ دخولَ الجنَّة، ولأنَّ مَن آمَن باللهِ تعالى ورسلهِ ﷺ؛ فإنَّه يُؤمن بجميع ما جاءَ عنهم، ومِن ذلك: الإيمانُ بكتب اللهِ المُنَزَّلةِ والملائكة واليوم الآخرِ والقدَرِ خيرِهِ وشرِّه، فكان ذِكرُ الإيمان باللهِ ورسلِهِ مستلزِمًا الإيمانَ ببقيَّةِ أركان الإيمانِ.

فائدَةُ عطفِ الرُّسُلِ على الاسمِ الأحسَن (الله):

لا يعتدُّ بالإيمانِ باللهِ تَعالى؛ إن جُحِدَتْ فيه رسالاتُهُ

الواو في قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾ عاطفَةٌ الرُّسُلَ على الاسم الأحسَنِ (اللهِ)[1]، وفي ذلكَ بيانُ أنَّ الإيمانَ الحقَّ لا يقتصر على الإقرار باللهِ تَعالى وحدَه، بل لا يكتمِلُ إلّا بالإيمان برسلهِ جميعًا؛ لأنَّهم وسائطُ هدايَتِه ومُبَلِّغو شرعِه، وفي هذا العطفِ أيضًا إبرازٌ لمَقامِهم ورفعَة شأنِهم، وتأكيدٌ لوحدَةِ الرِّسالات وتَكامُلِها.

(1) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 468.

سِرُّ التَّعبيرِ باسمِ الإشارَةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾:

عِـظَـمُ فَـضْـلِ اللهِ تعالى على أهْلِ الإيمانِ مِن عِبادِهِ

﴿ذَٰلِكَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ اسمُ إشارةٍ دالٌّ على البُعْد[1]؛ وذلك للإشارة إلى عِظَم فضلِ الله تعالى عليهم، ورفيعِ منزلَتِه[2]، ولازِمُ ذلك تعظيمُ أهل الفضْلِ، وهم أهل الإيمان الذين آمنوا بالله تعالى ورسلِه ﷺ.

دلالَةُ الإضافة في قوله: ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾:

اخـتـصـاصٌ في العَطاء وتعظيمٌ في النِّسبَةِ ودوامٌ لا يَعْتَريهِ انقِطاعٌ

أضيفَ الفضْلُ إلى الاسْمِ الأحسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾؛ للإيذانِ بالاختصاصِ والتَّعظيم والدَّوام، فكأنَّ هذا الفَضْلَ صفَةٌ ملازمَةٌ للهِ تَعالى، وعطاءٌ موصول صادِرٌ عنه بلا انقطاعٍ، ولو قيل: (فضلٌ من الله)؛ لأوهَمَ أنَّ العطاء جزءٌ من فيضٍ واسعٍ أو أمرٌ عارِضٌ، وهوَ غيرُ مرادٍ.

سِرُّ التَّعبيرِ بالاسمِ الأحسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾:

تعظيمٌ للذّاتِ وإبـرازٌ للفَضْلِ الذي لا يُقاسُ، ولا يُضاهى

عُبِّر بالاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾ دون (الرَّبِّ)، في قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾؛ لإظْهارِ الكَمال والعظَمَةِ المُطْلَقَة لأجْلِ ذاته، فالفضلُ منهُ لا يُقاسُ، ولا يُضاهى، فهو على مَعْنى الملكِ الذي لا كفْءَ لَهُ[3]، وهو الاسمُ الجامِعُ لمعاني الكمال والجَمال والجلالِ.

دلالَةُ التَّعبير بالفعلِ المُضارِعِ ﴿يُؤْتِيهِ﴾:

فضلٌ متجدِّدٌ، وعطاء لا يتبدَّدُ

عُبِّر بالفِعْلِ المُضارع ﴿يُؤْتِيهِ﴾؛ للإشارة إلى استمرارِ الفَضْلِ ودوامِهِ، وأنَّه لا انقطاعَ لهُ، فهم في الجنَّة خالدونَ، ونعيمُهم فيها غيرُ مَقطوعٍ ولا مَمْنونٍ.

دلالَةُ الإضْمارِ في فِعْلِ الإيتاءِ:

بلاغَةُ الإيجازِ وسُرْعَةُ الإيتاءِ في المِنَّة الإلهيَّةِ

الإضمار في قوله: ﴿يُؤْتِيهِ﴾ جاءَ لقصد الإيجازِ، والدَّلالةِ على

(1) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 11/ 351.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 293.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 293.

سُرعة الإيتاء في المنَّة الإلهيَّة، فالمقصودُ أنَّ الله يعطي الفَضْلَ، مع التَّأكيد أنَّ الفضلَ يُصْرَفُ لمَن يشاء دون الحاجة إلى تفصيلٍ أطولَ، كما أنَّ الإضمارَ جارٍ على مقتضى الظّاهرِ لتقدُّم مرجِعِ الضَّمير قريبًا في قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾.

دلالَةُ التَّعْبير بالاسمِ المَوصولِ ﴿مَن﴾ في قولِه: ﴿مَن يَشَآءُ﴾:

شمولُ الفَضْلِ الإلهيِّ للطّائع ابتداءً، وللعاصي بعدَ العقابِ

التَّعبير بالاسمِ الموصولِ ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ مؤذِنٌ بأنَّ الفضلَ يُعْطى مَن يشاء من عبادِهِ مِن أهل الإيمان، سواءٌ أكانوا من المتَّقين الطّائعين، أم كانوا مِنَ عصاةِ الموحِّدينَ؛ إذ عصاةُ الموحِّدينَ يُقْطَعُ لهم بدخول الجنَّة في المآلِ، وقد يدخلُ بعضُهم الجنَّة ابتداءً؛ إذا عفا اللّهُ تَعالى عَنْهُ.

دلالَةُ التَّعبير بالمَشيئَةِ:

الإيماءُ إلى العِنايَةِ الرَّبّانيَّة والإحسانِ الإلهيِّ

جاءَ التَّعبير بفعل المشيئةِ؛ تأكيدًا على أنَّ إدخالَ الجنَّة محضُ فضلٍ مِنَ الله تعالى، وليس أمرًا واجبًا على الله تَعالى[1]، فكلُّ فضلٍ ومنَّةٍ منهُ صادرٌ بتفضُّلٍ وتكرُّم، فيَظْهَرُ بذلك كمالُ القُدرة والعظمةِ الإلهيَّة.

وفي التَّعبيرِ بفِعْلِ المشيئةِ إشارةٌ إلى العناية والإحسانِ الإلهيِّ النّاشئِ مِن مَحْضِ الإرادة، كيف لا؟ واللّهُ غنيٌّ بذاته، مستقلٌّ عن عبادِهِ المخلوقاتِ، ومستغنٍ مطلقًا عن مظاهرِها[2].

دلالَةُ حذفِ مفعولِ ﴿يَشَآءُ﴾:

بيانُ سَعَةِ التَّصرُّف الإلهيِّ

حُذِف مفعول المشيئةِ في قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾، والمعنى: من يشاء أن يؤتيَهُ اللّهُ إيّاهُ[3]؛ للدَّلالة على سَعَةِ التَّصرُّف الإلهيِّ؛ إذْ يَصْرِفُ فضلَهُ لِمَن يشاءُ مِن عِبادِهِ بِلا حدودٍ أو قُيودٍ.

(1) الإيجي، جامع البيان: 4/ 267.
(2) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 390.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 211.

معنى الواو في قوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ﴾ حرفٌ دالٌّ على العَطْفِ[1]، فهي تربطُ بينَ ما سبق ذِكْرُه من فضل اللهِ تَعالى، وبينَ ثبوتِ صِفَةِ الفضلِ للهِ تَعالى؛ لتأكيد أنَّ كلَّ ما أُشير إليه مِنَ المنح والكرامة متَّصلٌ بجلالِهِ وكمالِهِ، وهو انتقالٌ من فضلٍ خاصٍّ إلى فضلٍ عامٍّ.

رَبْطُ المِنَحِ الرَّبّانيَّةِ بكمالِ الذّات الإلهيَّة

دلالةُ إظهارِ الاسمِ الأحسَنِ (الله) دونَ إضْمارِهِ:

أُظْهِرَ الاسمُ الأحسَنُ (الله) في قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ دون إضمارِهِ، فلم يَرِدِ البيانُ القرآنيُّ: (وهو ذو الفضل العظيم)؛ لأنَّ في الإظهارِ بيانَ أنَّ الملكَ الأعظمَ سُبحانَهُ مختصٌّ بجميعِ صِفات الكمال والجلالِ، وأنَّ له الأمرَ كلَّهُ بلا شريك[2].

دلالَةُ الاسمِ الأحسَنِ (الله) عَلى صِفاتِ الكَمالِ والجَلال

دلالَةُ مجيءِ الفَضْلِ مُعَرَّفًا:

جيءَ بلفظِ الفَضْلِ مُعَرَّفًا في قوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾؛ لإفادَةِ معنى الكمالِ، أي: الفضل الذي لا مُبْتَغى وراءَهُ[3]، فهو فَضْلٌ كاملٌ مُطلقٌ، صادرٌ عن الله تعالى، وفيه إظهارُ عظمَةِ المِنَّةِ الإلهيَّة وكمالها في العَطاءِ والجَزاءِ.

بيانُ كَمالِ الفَضْلِ الإلهيِّ

سِرُّ وصفِ الفَضْلِ بالعَظيم دونَ الكبير:

اختير وصفُ الفَضْلِ بالعَظَمةِ دونَ الكِبَرِ؛ للدَّلالةِ على شُموليَّة الفَضْل، وعلوِّ قَدْرِه وسُموِّه، فلا يَقْتَصِر على كِبَرِ المِقْدارِ، بَل يشمَلُ السَّعة في الرِّزق، وتنوُّع النِّعم، وبيانَ موضِع الشُّكر، والجزاءَ الأخرويَّ المعدَّ لَهُم على الطّاعة[4]، وفي هذا الوصفِ تنبيهٌ على عَظَمَةِ حالِ الجنَّة وسموِّها.

فضلٌ ممتَدٌّ ورِزْقٌ في الدُّنيا، وهدايَةٌ للشُّكر وجزاءٌ في الآخرة

(1) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 523.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 294.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 211.
(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 195.

دلالَةُ إيرادِ وصفِ ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ معرَّفًا بـ (أل):

إطلاقُ الفَضْلِ وعُمومُهُ

التَّعبير بوصفِ ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ معرَّفًا، فيه إشارةٌ إلى الإطلاقِ والعمومِ والسُّموِّ المطلق للفضلِ الإلهيِّ، فهو فضلٌ مُطْلَقٌ يمنحُهُ اللهُ تَعالى مَن يشاء مِن عباده، لا يَقْتَصِر على نوعٍ أو مِقْدارٍ، وأعظمُ صوَرِ هذا الفضل تتجلّى في النُّبوَّة والتَّقوى والعلمِ والخير بجميعِ صورِهِ[1].

بلاغَةُ التَّذْييلِ بِقَوْلِه: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾:

خِتامُ الفَضْلِ تأكيدٌ لِسَعَةِ العَطاء الإلهيِّ وتمام النِّعمةِ الرَّبّانيَّةِ

قولُ اللّه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، واردٌ لتأكيدِ التَّفضُّلِ الإلهيِّ على مَن يشاءُ مِن عبادِه، فمَعَ عظمَةِ قَدْرِ الفَضلِ وعِظَم شأنِه، لا يَبعُدُ أن يَمْنَحَهُ اللّهُ تَعالى لِعبادِهِ، وموقع الجملةِ هنا تذييلٌ يَخْتَتِمُ ما سبَق مِن بيانِ النِّعم والفضل الإلهيِّ[2]، مؤكِّدًا سعةَ العَطاءِ الرَّبّانيِّ وشمولَهُ.

سِرُّ اختِلافِ خِتامِ الآيَةِ معَ ختامِ آيَةِ آل عمرانَ:

فـي وصـفِ العظيمِ في ختام الآيـة يتجلّى سموُّ الفَضْلِ وعلوُّ الذّاتِ

خُتِمَت هذهِ الآيةُ بغَيْرِ ما خُتِمَت بهِ آيةُ سورةِ آل عمران، في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عمران: 174]، فالوصفُ بالعظيم جاء هنا؛ ليُبْرِز علوَّ القَدْرِ، وسُموَّ الفضل الإلهيِّ[3].

بلاغَةُ الاتِّفاق والاختلافِ بينَ آيَةِ الحديدِ وآية آل عمرانَ:

قال اللّهُ تعالى: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: 133]، وقال سُبحانَهُ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

جاء التَّعبيرُ في آية آل عمران بالمسارعَةِ في قوله: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ﴾

(1) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 11/ 351.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 186.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 466.

[آل عمران: 133]؛ إذ المسارعَةُ مقدَّمة في الرُّتبة على المسابقَةِ، وهي أن يُبادِرَ المرءُ قبلَ غيره، فجاءت مناسبةً لمَقام الحثِّ على التَّقوى والطّاعة بعد ذِكْرِ الأمر بهما، وجاء الوصف بـ ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: 133] من غير كافِ التَّشبيه؛ إيغالًا في المبالغَةِ، حتّى كأنَّ السَّماواتِ والأرضَ أنْفُسَهما صارَتا عَرْضًا للجنَّة، ثُمَّ خُصَّ الخطابُ بالمتَّقين؛ وهم صفوةُ المؤمنينَ.

آيةُ آل عمران آمِرَةٌ المتَّقينَ بالمُسارعَةِ، وآيةُ الحديدِ آمرةٌ المؤمنينَ بالمُسابقَةِ

أمّا في آيةِ الحديدِ؛ فجاء الأمر بالمسابقَةِ في قوله: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾؛ إذِ المُسابقَةُ مبنيَّة على المسارعةِ، وتَقْتَضي التَّزاحمَ والتَّنافُس، وهو أنسَبُ للمقام بَعْدَ ذِكْرِ لهوِ الدُّنيا وزينَتِها، فخوطِبَ بها عمومُ المؤمنين باللهِ تَعالى ورسُلِه ﷺ، وجاء الوصف بـ ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، مع كاف التَّشبيه التي تُفْصِحُ عن معنى المِثْليَّة دون الإيغال في المبالغة؛ لأنَّ المقام هنا مقامُ بيانِ السَّعة لا مقامُ التَّهويل والتَّعظيم، ثُمَّ أُتبِع بذِكْرِ أنَّ ذلك فضلٌ مِنَ اللهِ تَعالى يُؤْتيه مَن يَشاءُ[1].

آيةُ آل عمرانَ أخصُّ مخاطَبة وأدقُّ في الحثِّ، وآيةُ الحديد أوسعُ دائرةً وأشمَلُ مَعْنًى

وجاءت آيةُ آل عمران في سياقِ مخاطبةِ أهلِ التَّقْوى بعدَ أن أُمِروا بالتَّقوى والطّاعة، فناسب أن يُقال لهم: ﴿*وَسَارِعُوٓاْ﴾ [آل عمران: 133]، بالواوِ التي تقتضي العطفَ على ما قبلها؛ إذِ المقام مقامُ استدعاءٍ للجدِّ في الطّاعة ومتابعة الأوامر، فجاءت الجنَّةُ الموعودةُ لَهم بلفظ: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: 133]، وهي إشارة إلى سعة عظيمة تليق بخصوصيَّة المتَّقين، وإن قلَّ عدَدُهم؛ لأنَّ الجزاءَ على قدرِ العمل والإخلاص.

أمّا آية الحديدِ؛ فقد وردت في معرض التَّنفير من زخارف الدُّنيا ولعبها وزينَتِها، فجاء الخطاب موجِّهًا إلى عموم المؤمنين باللهِ ورسله، وهم أكثر عددًا، وأوسع دائرةً من المتَّقين، فناسب أن يُقال لهم: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ لا محض المسارعة؛ إذ المقام مقام منافسة وتزاحم

(1) ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل: 1/ 90 - 92.

في طلب الفَضْلِ، وجاء وصف الجنَّة هنا بقوله: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فجُعِلَ عرضُها بامتدادِ السَّماء التي هي أوسَعُ مِنَ السَّماوات؛ إشارةً إلى رحابَةٍ أعظَمَ؛ لِتَسَعَ هذا الجمعَ الغَفير[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المُسابقَة والمُسارعَة:

الجنَّة لا تُنال بالسُّرعة وحدَها، بل بالسَّبْقِ في الطّاعَةِ

التَّعبير بـ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ بدل (سارِعوا)، في قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ يحمل سرًّا بلاغيًّا عميقًا.

المسارعَةُ: تدلُّ على مُطْلَقِ الإسراع في الشَّيء المَحمودِ[2]، ولو كان الإنسانُ منفردًا، فهي تعني المبادرةَ والجِدَّ في العمل، وقد يُستعمَلُ في الشَّيءِ المذموم، ومنهُ قولُ اللّهِ تَعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [آل عمران: 176].

أمّا المسابَقَةُ؛ فتتضمَّنُ مَعْنى المُنافسَةِ بينَ أكثر من واحدٍ، فهي لا تتحقَّق إلّا مع وجودِ آخرَ يُبادِرُ معَهُ المُتَسابِق، وفيها عنصرُ التَّقدُّم على الآخرين، والفوز بالمرتبةِ السّابقة[3].

ومن هنا جاء اختيار ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ في الآية الكريمة: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾؛ لأنَّ طريق الجنَّة ليس طريقًا فرديًّا منعزلًا، بل هو ميدانٌ يَتسابَقُ فيه المؤمنون إلى الطّاعات، كلٌّ يريد أن يَسْبِقَ غيرَهُ إلى مرضاةِ اللّهِ تَعالى، فعلى كلِّ مؤمن أن يعدَّ نفسَه، ويجتهد؛ ليكونَ في المقدِّمة، بخلاف فعلِ المُسارعَةِ الذي يَقْتَصِرُ على معنى المبادرة بالسُّرعة دون هذا الإيحاءِ التَّنافسيِّ، فجمع التَّعبير بين معنى السُّرعة ومعنى المنافسة؛ ليكون أوقعَ في تحريكِ النُّفوس نحوَ المغفرة والجنَّة.

(1) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 2/ 237.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 276.
(3) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 1/ 276.

الإيتاء والإعطاء:

الإيتاءُ والإعطاءُ مَعناهُما واحدٌ عندَ كَثيرٍ مِن أصحابِ المُعْجَماتِ[1].

الإيـتـاءُ في الاستِعمالِ القُرآنيِّ يَرِدُ لِلشَّيءِ الكَثيرِ والأمرِ العَظيمِ

وفرَّق آخرونَ بينَهُما، وحاصِلُ التَّفريقِ راجعٌ إلى ثلاثَةِ أوجهٍ[2]:

أحَدُها: أنَّ الإيتاءَ لا مُطاوِعَ لفعْلِهِ، فتقول: آتاني شيئًا، فأخذتُه، بخلاف الإعطاءِ فإنَّ له مطاوعًا، فتقول: أعطاني شيئًا، فَعَطَوْتُهُ، ويترتَّب على هذا أنَّ الإيتاء أقوى مِنَ الإعطاء؛ لأنَّ المتقرِّرَ أنَّ ما له مطاوعٌ مِنَ الأفعال أضْعفُ في إثباتِ مَفْعولِهِ ممّا لا مطاوِعَ له.

ثانيها: أنَّ الإيتاء يُستعمَلُ غالبًا فيما له ثباتٌ وقرارٌ، بخلاف الإعطاءِ فإنَّ الغالبَ استعمالُهُ فيما يَنتقِلُ مِنهُ بعد قضاء الأرَبِ منهُ.

ثالثُها: أنَّ في الإعْطاءِ دليلًا على التَّمَلُّكِ بخلاف الإيتاءِ.

وأمّا في خصوصِ الاستِعمالِ القُرآنيِّ لِلفظَتَي (الإيتاء) و(الإعْطاء)؛ فإنَّ بينَهُما فرقًا مِن جِهَتَيْنِ[3]:

إحْداهُما: أنَّ الإيتاءَ لَم يُستعمَل إلّا لِلشَّيءِ الكَثير والعظيم الشَّأنِ، كالقرآنِ الكريم، والتَّوراةِ، والمُلْكِ، والرَّحمة، بخلاف الإعطاءِ؛ فإنَّهُ يُستعمَلُ لِلشَّيءِ القليلِ، ولم يَرِد الإعطاءُ مرادًا به الشَّيءُ الكثيرُ إلّا بقيدِ ما يدلُّ على الكثرَةِ.

الأُخْرى: أنَّ الإيتاءَ إذا صدَرَ مِنَ العَبْدِ؛ يكون عَن طيبِ نَفْسٍ، بخلاف الإعطاءِ فَهوَ مُطْلَقٌ.

واستِعمالُ الإيتاء في قولِ الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾، جريٌ على طريقة القرآنِ الكريم في استعمالِ الإيتاءِ في عَظائِمِ الأشياءِ.

(1) الخليل بن أحمد، العين: (أتى)، والجوهريّ، تاج اللّغة وصحاح العربيّة: (أتى).
(2) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 87، وأبو البقاء الكفويّ، الكلّيّات، ص: 212.
(3) محمّد محمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 27 - 29.

ذو وصاحب:

الفَضْلُ كلُّه مِلْكٌ للهِ تَعالى

﴿ذُو﴾ تدلُّ على الملكيَّة الملازمة والاختصاص الذّاتيِّ، حتّى كأنَّ الفضلَ جزءٌ من جوهر الموصوف وحقيقتهِ[1]، بخلاف (صاحب) التي تفيد مجرَّد الصُّحبة، أو الملابسة العارضة، وغالبًا ما تُستَعمَل في شؤون البشَر؛ إذ يتبادل الصّاحبانِ النَّفع والانتفاع[2]، جاء التَّعبير بلفظ ﴿ذُو﴾ دون (صاحب) في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ لما تُشْعِرُ به ﴿ذُو﴾ مِنْ أنَّ الفضل العظيم مِمّا يُفيضُهُ اللّهُ تعالى على العبادِ على وجهِ الدَّوام والاستمرارِ، فكان اختيارُها أبلغَ في بيان أنَّ الفضلَ كلَّهُ ملكٌ للّه تعالى، صادرٌ عنه بلا حدٍّ ولا نفادٍ، على وجه يليق بكبريائهِ وعظمتهِ.

الغالِبُ إضافةُ (ذو) إلى التّابع، وإضافةُ (صاحب) إلى المتبوعِ:

كما أنَّ استعمالَ لفظ ﴿ذُو﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾، أبلغ وأشرف من لفظ (صاحب)؛ إذ إنَّ (ذو) تُستعمَل للإضافة إلى التّابع، أمّا (صاحب)؛ فتُضاف إلى المتبوع، والتّابع أشرفُ مِنَ المتبوع[3]؛ لأنَّ فيه معنى التَّكميل والتَّزيين للموصوف، بخلاف المتبوع الذي يوحي بالتَّعلُّق والاحتياج، ومِن ثَمَّ جاء التَّعبير بـ﴿ذُو﴾؛ ليُضفي على المقام رفعَةً وسُموًّا؛ إذْ جُعِلَ اقترانُ اسْمِ اللّهِ تَعالى بالفَضْلِ العظيم اقترانَ تكميلٍ وعلوٍّ، لا اقترانَ مرافقَةٍ أو مصاحبة.

(1) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص: 44.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 308.
(3) محمد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 17/ 87، و: 24/ 47.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60 : المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-66-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"